

## الموروث الثقافي وإشكالية الجذب السياحي قراءة في الإمكانيات والتحديات

أ. بلبلديّة فتيحة نور الهدى

المدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الإعلام

ملخص:

يعتبر الموروث الثقافي كنز الأمة، به تفرض وجودها، وتثبت ذاتها وخصوصيتها، وتحقق طموحاتها، لذلك فإن أغلب الأمم والشعوب سعت دوماً للحفاظ عليه والتشبث به، ومحاوله إحيائه، وبعثه من جديد. تتمتع الجزائر كغيرها من دول العالم بموروث ثقافي معترف بتنوعه وغناه على المستوى العالمي، وقد تأتي لها ذلك بحكم موقعها، حيث عرفت تعاقبا وتمازجا للحضارات قلّ أن يجود به التاريخ والجغرافيا، فموقع الجزائر من حيث قربها من قارة أوروبا، وكونها بوابة لقارة إفريقيا، ومعبرا إلى الشرق أمرا جعلها - في كل مراحل تاريخها - هدفا لغيرها من الدول والشعوب، فكان نتاج ذلك أنها بلغت عدة مؤثرات ثقافية، مكنتها من أن تراث عن ماضيها تراثا ثقافيا ضخما متعدد المشارب. لكن في خضم أخطار العولمة الجارفة غير المحمودة، والتوسع العمراني، باتت تطرح مسألة مصير الموروث الوطني الثقافي بإلحاح شديد، لذلك تهدف هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على واقع الموروث الثقافي في الجزائر وإشكالية الجذب السياحي، كما تسعى إلى مناقشة جملة التحديات التي تواجهه في الوقت الحاضر، ومن ثم بحث الطرق والأساليب المستقبلية التي تحاول الدولة جاهدة في سبيل تثمين الموروث الثقافي والإستثمار فيه لخدمة السياحة.

الكلمات الدالة:

الموروث الثقافي؛ الجذب السياحي؛ السياحة؛ السياحة الثقافية.

Abstract:

Cultural heritage is the treasure of the nation by imposing its existence, establishing itself and its specificity, and achieving its aspirations. Therefore, most nations and peoples have always sought to preserve and adhere to it, and try to revive it and resurrect it. Algeria, like any other country in the world, has a cultural heritage that is recognized for its diversity and richness on a global scale. This is due to its location, where it has been known for its history and geography. Algeria's location in terms of proximity to the continent of Europe, and its gateway to the continent of Africa, To the East, making it - in all stages of its history - a target for other nations and peoples, was the result of that it reached several cultural influences, enabling it to inherit from its past a huge cultural heritage multi-stripes. However, in the midst of the dangers of globalization and unfulfilled urbanization, the question of the fate of the national cultural heritage is being addressed with great urgency. This paper aims at shedding light on the reality of cultural heritage in Algeria and the problem of tourist attraction. , And then look at the future ways and means in which the State is striving to value the cultural heritage and invest in it to serve tourism.

Keyword: Cultural heritage; attractions; tourism; cultural tourism.

➤ مقدمة:

ويشكل الموروث الثقافي رمزا للهوية وعنصرا أساسيا لذاكرتنا، حيث يحمل مبادئ وقيم أسلافنا وينقلها إلى الأجيال القادمة، لذلك فإن مسألة الإهتمام بالحفاظ عليه ظلت مطروحة عند مختلف الدول الحريضة على فرض وجودها، وتثبيت كيانها، لكن في خضم الأوضاع السائدة في العصر الحديث من تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وكذا التوسع العمراني، باتت تطرح مسألة مصير الموروث الثقافي بإلحاح شديد في سبيل تثمين الموروث الثقافي من خلال الاستثمار فيه لخدمة المجتمع والأجيال القادمة، فكانت الجزائر من أكثر البلدان انشغالا بذلك.

لذلك فهذه الورقة البحثية تهدف لتسليط الضوء على حقيقة وواقع الموروث الثقافي وإشكالية الجذب السياحي في الجزائر، ومن ثم مناقشة التحديات التي تواجهه، كما تبحث السبل التي من خلالها يمكنها الحفاظ على موروثها الثقافي.

الموروث الثقافي:

في الحقيقة إن كلمة موروث مشتق من كلمة ورث "وتعني" ما يرثه الابن عن أبيه من مال وحسب [1] يعد الموروث الثقافي مصطلحا واسعا ومن الصعب تحديد جميع مكوناته وعناصره، وهو يشمل كل ما خلده الإنسان من شواهد روحية أو مادية في تراثه الفكري، وروقه الإنساني، ويمكن القول بأنه الحصيلة الفكرية والاجتماعية والمادية لأسلافنا، أو بمفهوم آخر فإن "الموروث الثقافي والاجتماعي والمادي، المكتوب والشفوي، الرسمي والشعبي، اللغوي وغير اللغوي، الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب، [2] موجود في ذاكرتنا يعيش معنا، ويتجسد في أشكال مختلفة خلال حياتنا "في تصرفاتنا وتعبيرنا وطرائق تفكيرنا، ومهما حاولنا القطيعة معه، وإعلان موته نظر يا أو شعور يا تظل خطاطته وأنساقه وأنماطه العليا مرسخة في الوجدان ومتمركزة في المخيلة. [3]

حتى وإن طرأ عليه تغيير إلا أن هذا التغيير ليس جذريا، وإنما هو نسبي نتيجة ظروف مفروضة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن بعض الموروثات حتى وإن هجرت فإنها ستحفظ في المتاحف كونها من تراث أجدادنا، وأنها أدت وظيفة في زمن ما. ولا نعي بالموروث الثقافي تلك الرواسب والمخلفات الثقافية لماض سحيق، حيث فقدت وظيفتها من دون أن تكتسب وظيفة أخرى، لأن هذه النظرة الساذجة للموروث الثقافي تعمل على بتر التاريخ وتسلب حقه في التعبير عن الحاضر، والتأثير فيه، وتجعله شيئا من مخلفات السحيق، [4] وإنما آثارها تسكن دائما وجدان أفراد المجتمع، فيكون لعناصر الموروث الثقافي - من منظور الأنثروبولوجيين - دائما وظيفة تؤديها "بطريقة أو بأخرى حتى لو اختلفت عن الوظيفة الأصلية، واعتبروا أن المخلفات والرواسب عناصر ثقافية موروثة من أوضاع أقدم ثقافيا، وأن لها تأثيرها في أرقى الحضارات، كما اعتبروا أن المعتقدات والعادات مخلفات لماض قديم، وقد اكتسب وجودها لا عن طريق المعرفة التجريبية المؤيدة ولا بالحقائق المؤيدة ولا بالقانون الوضعي وإنما بحكم العادة، وعلى أساس انها جزء من التراث. [5]

ويقصد بالموروث الثقافي تلك الأشكال والعناصر الثقافية المادية والفكرية والاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع في وقت ما، ثم طرأ على هذا المجتمع تغيير، فانتقل من أوضاع إلى أوضاع أكثر حداثة، ولكنها (الأشكال الثقافية) لا تزال مستمرة في ذلك المجتمع، متداولة بين أفراد، وهذه الاستمرارية لعناصر الموروث الثقافي بين الأجيال "تحمل معها من التواصل الحضاري عصارات فكر أجيال متعاقبة. [6]

السياحة: تشكل السياحة محور إهتمام الباحثين من تخصصات علمية مختلفة لهذا تعددت تعريفات السياحة ولعل أبسطها هو إعتبارها [7] نشاط السفر بهدف الترفيه، وتوفير الخدمات المتعلقة بهذا النشاط.

وقد تم تحديد هذا التعريف في مؤتمر "أوتادا" العلمي الخاص بالسياحة عام 1990 بكندا على أنها "الأنشطة التي يقوم بها الشخص المسافر إلى مكان خارج بيئته المعتادة لمدة لا تقل عن فترة معينة من الزمن وألا يكون غرضه من السفر ممارسة نشاط يكتسب منه دخلا في المكان الذي يسافر إليه" [8]

وعليه فالسياحة نشاط اجتماعي واقتصادي وثقافي والذي يعمل على انتقال الأفراد من مكان إلى آخر فترة من الزمن لا تقل عن يوم ولا تصل هذه الفترة إلى الإقامة الدائمة.

السياحة الثقافية: تعريف اليونسكو للسياحة الثقافية على أنها مجموعة متنوعة من الخصوصيات الدينية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً معيناً أو مجموعة معينة، لا تشمل الفنون الأدبية فقط، بل أنماط الحياة وطرق العيش المشترك، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات. [9]

مكونات الموروث الثقافي الوطني:

يعتبر الموروث الثقافي الجزائري موروث غني بضرابه وعناصره، إذ تشير الآثار التاريخية المنتشرة على كافة التراب الوطني الجزائري، خاصة في بعض المدن كجاية والقصبة وغرداية وتلمسان وقسنطينة وقلمة تنوع تجربة المجتمع الجزائري الثقافية "فالثقافة لا تنفصل عن التاريخ، بل هي في وجه من الوجوه تعبير عنه، وربما هي أكثر ما يستمر ويبقى من التاريخ. [10]

ويمكن تقسيم الموروث الثقافي الجزائري كالآتي:

أ - الموروث الثقافي المادي:

يقصد بالموروث الثقافي المادي "كل ما يصنعه الإنسان في حياته العامة، وكل ما ينتجه العمل البشري من أشياء ملموسة، وكذلك كل ما يحصل عليه الناس عن طريق استخدام فنونهم" [11]، وهذه الموروثات ذات طابع تقليدي، لكن رغم حلول عناصر أكثر عصريّة منها إلا أنها تحظى باهتمام بالغ من قبل أفراد المجتمع. والمقصود بالموروثات الثقافية المادية أيضاً تلك "التقنيات والمهارات ووصفات إنتقلت عبر الأجيال كبناء البيوت وصناعة الملابس وإعداد الطعام وفلاحة الأرض وصيد الأسماك وغيرها" [12]

ويمكن تقسيم الموروث الثقافي المادي بدوره إلى قسمين:

1 - الموروث الثقافي غير المنقول: ويشمل هذا النوع من الموروث ما يلي:

- المواقع ذات الطابع الأثري كالنقوش والرسوم السخرية المنتشرة عبر العديد من مناطق الوطن، كذلك الموجودة في منطقتي أولاد جلال وجمينة بمدينة بسكرة، وكذا المغارات والكهوف كهوف الهقار الموجودة بالطاسيلي، بالإضافة إلى المقابر كمقبرة سيدي حامد ببسكرة.

- البنايات ذات الطابع العسكري كالحصون وأبراج المراقبة المنتشرة بكثرة في مدينة قلمة وبسكرة وتلمسان ك(قلعة ابن الجاهل).

- المنشآت ذات الطابع المدني كالجسور والقناطر التي نجدها بكثرة في مدينة قسنطينة كجسر سيدي راشد وقنطرة الجبال، وجسر القنطرة بمدينة بسكرة، بالإضافة إلى الحدائق كحديقة لاندو ببسكرة، والأحواض والشلالات كشلالات الوريث بتلمسان وكحمام دباغ أو حمام المسخوطين بقلمة، وحمام الصالحين ببسكرة.

- المنشآت ذات الطابع الديني والمقدس: وتتمثل في أماكن العبادة المنتشرة في كافة التراب الوطني كالمساجد المنتشرة بكثرة في الجزائر العاصمة ونذكر منها المسجد الكبير، وجامع كشاوة، ومسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي، ومسجد علي خوجة، ومسجد الداوي، ومسجد الجيش، ومسجد المصيدة، ومسجد سفير، وجامع القصبة البراني، وجامع البحرية، ومسجد الأمة وغيرها، أو المساجد المتوزعة على كامل منطقة تلمسان ومنها مسجد سيدي بومدين والمسجد الكبير ومسجد المشوار ومسجد آغادير وغيرها، وكذا المساجد الموجودة بمدينة بسكرة كمسجد سيدي عقبة. ويشمل هذا النوع من الموروث أيضاً الزوايا والأضرحة كالزاوية العثمانية، وزاوية المختارية ببسكرة، وزاوية أحمد بن عبد الله الجزائري، وزاوية عبد الرحمن الثعالبي بالعاصمة.

- بعض المجموعات التاريخية والتقليدية: وتتكون من الممتلكات العقارية المبنية أو غير المبنية، المعزولة أو المجمعة مثل المدن والقرى التاريخية كمدينة بني سويك وأولاد جلال وطولقة وسيدي عقبة وسيدي خالد ببسكرة، بالإضافة إلى القصور كقصر خديوج، وقصر عزيزة، وقصر حسن باشا، وقصر مصطفى باشا، وقصر الدار الحمراء بالجزائر العاصمة، وتشمل أيضا القصبات والأنسجة العتيقة الحضرية والريفية... الخ، والتي تكتسي أهمية بحكم طابعها المعماري، أو حولتها التاريخية أو تفردتها، أو انسجامها، أو اندماجها مع محيطها.

2- الموروث الثقافي المنقول: يتمثل في الممتلكات المنقولة المتكونة من الحفريات الثرية ك(حفريات ألتافا بأولاد ميمون بتلمسان)، والمخطوطات العلمية والفنية ك(المخطوطات الموجودة بمكتبة الشيخ القاضي بمدينة بسكرة)، وكذا الرسوم والمنحوتات والصور الفوتوغرافية (الموجودة بمختلف المتاحف الوطنية)، كما يشمل أيضا أدوات الحياة اليومية (مجموعات أنثوغرافية)، أو قطع من الإنتاج المادي للثقافة الوطنية من الناحية العلمية أو التاريخية أو الأنثروبولوجية أو الفنية أو الجمالية أو التقليدية، سواء كانت هذه العناصر معزولة أو مجموعات، وتعد المجموعة كلاً غير قابل للتجزئة لانتمائها لنفس المكان والفترة التاريخية، لكونها شاهدة على تيارات فكرية وعادات وأعراف وهوية وذوق ومهارة وفن وأحداث.

ب - الموروث الثقافي غير المادي (المعنوي):

شكل التراث الثقافي غير المادي موضوع بحث لكثير من الدراسات وذلك لفترة طويلة، مما أفضى ذلك إلى وضع مجموعة من التعريفات التي ظلت مبهمة إلى أن أحاطت منظمة اليونسكو بجوابه، وبذلك أدت دورا مهما في ترسيم معالم هذا الموروث، وعليه يمكن تعريفه بأنه الموروث الغير ملموس، ويشمل مجموع الممارسات، والتصورات، والتمثلات، وأشكال التعبير، والمعارف، والمهارات، كما تعتبر جزءا من هذا التراث اللغة والأدب والموسيقى والغناء والحكاية والرقص والاحتفالات وباقي الفنون، وكذا الألعاب والأساطير والطقوس والعادات والممارسات والمهارات والمعرفة الموروثة للحرف التقليدية والهندسة المعمارية وفن الطبخ والإنتاج، وكذا تخزين المنتجات والطب والصيدلة التقليدية، وكذا الفضاءات والمسالك الثقافية كأماكن لتأكيد استمرارية الهوية الوطنية والدلالة على تجذر الثقافة.

وتعتبر الدولة الجزائرية هذه العناصر جزءا من تراثها الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل، فتبذعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة والتاريخ، فهي تنمي لديهم الإحساس بهويتهم والشعور باستمراريتها، ويمكن تقسيم الموروث الثقافي الغير مادي (المعنوي) إلى مايلي:

1- التقاليد الشفهية وفنون التعبير الشفهي: ترتبط هذه الفنون بما أنتجته الذاكرة الجماعية الجزائرية حين عبرت عن أفراحها وأقراحها في أشكال محكية عدة كقصص البطولة، والأمثال، والحكايات، وأغاني الأطفال، وأغاني القصائد الملحمية، والأساطير، والأناشيد، والتعويذات، والصلوات... هذه الأشكال استعملها أجدادنا لنقل المعرفة والقيم الثقافية والاجتماعية إلينا وإلى أحفادنا، لذلك فقد أدت دور شديد الأهمية في الحفاظ على الثقافة الجزائرية نابضة بالحياة. ويقدم عبد الحميد بورايو قائمة لموروثنا الثقافي المعنوي يمكن أن نلخصها في النقاط التالية: قصص البطولة (قصص المقاومين والثوار، قصص الأولياء)، الأساطير، الأغاني بأنواعها، الأغاني الشعبية، الأمثال والحكم والأقوال السائرة والألغاز والنداءات والنوادر. [13]

ونظرا لأن التقاليد الشفهية وأشكال التعبير الشعبي تنقل بالكلمة المحكية، فإن أسلوب روايتها كثيرا ما يختلف باختلاف نوعها وسياقها ومؤديها، الذين يتكلمون لغات مختلفة نظرا للوضع اللغوي السائد (فرنسية، عربية، أمازيغية)، فاللغة تدعم التراث الثقافي الغير مادي لكثير من المجتمعات، فهي واسطة لنقل التراث غير المادي، كما أن اللغات المختلفة تتحكم في كيفية رواية

القصص والأشعار والأغاني كما قد تؤثر على مضمونها، وقد يقود اندثار لغة ما إلى فقدان ما لديها من تقاليد شفوية وأشكال تعبير شفهي.

وكما للغة تأثير على التقاليد الشفهية وأشكال التعبير الشعبي، فكذلك الأمر بالنسبة للهجات التي هي "الطريقة التي يتلفظ بها المرء بمفردات لغة وعباراتها، وطريقة إخراج الأصوات عند النطق بها، وهي طريقة تختلف باختلاف المناطق الجغرافية حتى ضمن بلد واحد، فإن هناك أناس يتكلمون لغة موحدة المفردات والتعابير والقواعد، يتلفظون بلغتهم المشتركة لهجات متباينة تباين انتماءاتهم الإقليمية[14]، وتختلف اللهجة في الجزائر من منطقة إلى أخرى فاللهجة التي نَجدها في منطقة الأوراس تختلف عن اللهجة التي نَجدها في الصحراء أو في منطقة الغرب الجزائري، وكثيرا من الأحيان تحيل اللهجة إلى الانتماء الجغرافي للفرد، وهي تمثل تراثه الموروث من أجداده والذي لا يستطيع الانسلاخ عنه، لأن اللهجة تعتبر أحد العناصر الأساسية للموروث وليس فقط وسيلة لنقل عناصر الموروث الثقافي، أو وعاء يخزن بداخله المجتمع تراثه، لأن تراثها الثقافي يتجسد كذلك في اللهجات.

2- فنون وتقاليد وأداء العروض: تتنوع فنون الأداء في الموروث الثقافي الجزائري وتتراوح بين الموسيقى الغنائية والآلات الموسيقية إلى الرقص والمسرح إلى الإيماء والشعر الغنائي، وتشمل العديد من أشكال التعبير الثقافي التي تنعكس فيها روح الإبداع البشري، والتي تتواجد كذلك بحدود معينة في كثير من مجالات التراث الثقافي غير المادي.

ولعل الموسيقى هي الشكل الأكثر عالمية من أشكال فنون الأداء، فهي موجودة في كل المجتمعات، وأغلبها يوجد كجزء أساسي من أشكال الأداء ومجالات التراث غير المادي الأخرى، بما في ذلك الطقوس واحتفالات الأعياد والتقاليد الشفوية، وتوجد الموسيقى الجزائرية في سياقات شديدة التنوع سواء منها المقدس أو الكلاسيكي أو الشعبي، حيث تروي تاريخ المجتمع المحلي فمثلا الموسيقى الأندلسية تميز منطقة قسنطينة، و"المالوف" يميز منطقة عنابة، كما أن الموسيقى تؤدي في مناسبات مختلفة بحيث لكل مناسبة طابعها الموسيقي، فاحتفالات الزواج لها موسيقاها الخاصة، والمآتم الجنائزية تتميز بطابع موسيقي يبعث على الحزن، وكذلك هو الحال بالنسبة والأعياد، والكثير من المناسبات الاجتماعية

الأخرى التي تؤدي من خلال نمط موسيقي معين. ويمكن وصف الرقص على تنوعه وتعدد أشكاله بأنه ببساطة حركات الجسم المنتظمة المؤداة على إيقاع الموسيقى، وبالإضافة إلى جوانبه المادية كثيرا ما تعبر حركات الرقص الإيقاعية وخطواته وإيماءاته عن شعور ومزاج معين، أو تعرض حدثا محددًا أو عملا من الأعمال اليومية من قبيل الرقصات الدينية والرقصات التي تمثل الصيد أو الحرب.

أما الأداء المسرحي التقليدي فكثيرا ما تشتمل عروضه على التمثيل والغناء والرقص والموسيقى والحوار والرواية أو الإلقاء، كما تشمل العرائس والإيماءة، وهذه الفنون تؤدي أدوارا مهمة في الثقافة والمجتمع مثل: الأغاني التي تغنى أثناء العمل الزراعي، أو الموسيقى التي تعزف كجزء من طقس معين.

3- الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات: ترتبط الممارسات والطقوس والاحتفالات بالحياة اليومية لأفراد المجتمع الجزائري، فتتصل اتصالا وثيقا بتصورهم للعالم وفهمهم لتاريخهم وذاكرتهم، كما تعد أنشطة اعتيادية تهيكّل حولها حياتهم، ويعتبرونها ذات صلة بواقعهم، لذلك فهم يمارسونها بطريقة عفوية ومقدسة دون أن يجدوا لذلك مبرر، والأمر الذي أكسبها قيمة هو أنها تؤكد بالنسبة لممارسيها هوية الجماعة.

وتتنوع أشكال الممارسات الاجتماعية في الجزائر من منطقة إلى أخرى تنوعا مذهلا حيث نجد شعائر الصلاة، ومراسم البلوغ، وطقوس الولادة، والأعراس، والجنائزات، والألعاب، والرياضة التقليدية، والتقاليد المطبخية، وأنماط المستوطنات، وطقوس

القراءة، والأعياد الموسمية، وممارسات الصيد، والقطاف، كما تشمل مجموعة متنوعة من أشكال التعبير والعناصر المادية كالإشارات، والكلمات الخاصة، والإلقاء، والرقصات، والأزياء الخاصة، والمواكب، والأضاحي، والأطعمة الخاصة. والامتثال الجماعي للعادات والتقاليد حدده عبد الحميد بورايو في النقاط التالية:

- دورة الحياة (الميلاد، الختان، الزواج، الوفاة).
- الأعياد والمناسبات المرتبطة بدورة العالم (أعياد دينية، أعياد وطنية، احتفالات، مناسبات زراعية).
- المعاملات الاجتماعية بين أفراد الجماعة (الاستقبال، التوديع، الضيافة، علاقة الكبير بالصغير، علاقة الذكر بالأنثى، آداب المائدة، فض المنازعات والتحكيم . [15]

وكثيرا ما يقيم هذا النوع من الاحتفالات والممارسات والطقوس في أوقات محددة وأماكن خاصة، وذلك لغرض تذكير المجموعة بجوانب في تصورهما للعالم، ومن تاريخها، كما يساعد على تدعيم الإحساس بالهوية وباستمرار الماضي.

4 - المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون: هي مجمل ما "يؤمن به الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي، وتتميز هذه المعتقدات بخصائص مميزة منها أنها ميدان أكثر من أي ميدان آخر من ميادين التراث الشعبي... ما يعرف بالأفكار أو المواقف الإنسانية العامة، أو ما يعرف بالأفكار الأساسية كما أنها تهتم بالبحث عن تصورات الناس عن بعض الظواهر الطبيعية النفسية" [16]

وتشمل الممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون المعارف العلمية والمهارات والممارسات والتصورات التي اكتسبها سكان الجزائر من خلال تفاعلهم مع بيئتهم، فعبروا عنها باللغة والتقاليد الشفهية ومشاعر الارتباط بالمكان والذكريات والنزعة الروحية وتصور العالم.

وقد انبثق عن طرق التفكير هذه جوانب كثيرة ومختلفة من قبيل المعرفة البيئية التقليدية، أو معارف الشعوب الأصلية، أو معرفة الحياة الحيوانية أو النباتية، أو نظم العلاج التقليدية، أو الطقوس أو المعتقدات، أو طقوس التنظيمات الاجتماعية، أو الاحتفالات، أو اللغات، أو الفنون البحرية، كما تكمن المعارف والممارسات التقليدية في صميم ثقافة المجموعة وهويتها بعض جوانب المعارف التقليدية من قبيل الاستعمالات الطبية لأنواع النبات المحلية.

ولقد حاول فاروق أحمد مصطفى إحصاء أهم الموضوعات المرتبطة بالمعتقدات الشعبية في "الأولياء والكائنات الحية فوق الطبيعية، والسحر، والطب الشعبي، والأحلام، وحول الحيوان، وحول الجسم الإنساني، والأعداد والألوان والروح، والطهارة، والنظرة إلى العالم وغيرها. [17] وتعمل هذه المعتقدات على إشباع رغبات المجتمع الجزائري مما جعلها ذات أثر فعال في تكوين عقلية الأفراد والجماعة، وانتقالها من جيل إلى جيل بما يحفظ لها الإستمرار. [18]

5- المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية: ترتبط هذه المهارات بالمعارف المتصلة بالفنون الحرفية وليس بالمنتجات الحرفية نفسها، والمهارات المستخدمة في صنع الأشياء الحرفية في الجزائر جد متنوعة وذلك على غرار الأشياء نفسها، لذلك فهناك العديد من أشكال التعبير عن مهارات الفنون الحرفية التقليدية المنتشرة في مختلف أرجاء الوطن كتلك الموجودة في منطقة غرداية والعاصمة وبجاية، وقسنطينة، وعنابة وغيرها، ونذكر منها ما يتصل بالأدوات، والملابس، والحلي، والأزياء، والأثاث الخاص بالاحتفالات، وفنون الأداء، وحاويات التخزين، والأشياء المستخدمة في التخزين والنقل، وفنون الزينة، والأشياء الخاصة بالطقوس، والآلات الموسيقية، والأدوات المنزلية والألعاب وغيرها، فكل منطقة يكتسب سكانها مهارات متعلقة بالفنون الحرفية التقليدية التي كانوا قد ورثوها عن أسلافهم.



## 3 الموروث الثقافي بالجزائر:

إذا عدنا إلى رصد مظاهر الموروث الثقافي عبر مختلف أرجاء القطر الجزائري ندرك أن البعض منها توقف إنتاجه أو يكاد، فالفن المعماري ذو الطابع الإسلامي مثلا توقف عند حدود ما هو موروث، والمتمثل في القصور والمساجد والمعالم الأثرية وفي الخصوصيات العمرانية لبعض المدن كغرداية والقصبة، فلا نجد أي استثمار أو تطوير يحيل إلى الموروث الحضاري، كما تكشف السكنات الفخمة عن عدم تأصل الذوق المعماري، وعن غياب أي اجتهاد معماري وأي بعد جمالي أو مرجعية ثقافية.

ورغم توقف بعض عناصر الموروث الثقافي الجزائري عن الاستمرار في تشكيل المشهد الثقافي الوطني إلا أن هناك عناصر أخرى استمرت بصورة مغايرة عن الصورة التي كانت عليها، كما يتجلى في الفنون اليدوية كالصناعات التقليدية والنحاسية والفخارية والجلدية والطرز والحلي وفن الطهو وفن الفولكلور، وما يمكن ملاحظته أن هذه المكونات لم تبقى على حالها بالضرورة، فالرقص مثلا نجد بأنه قد تجرد من بعض وظائفه التي كانت في كثير من الحالات ذات صبغة دينية على أساس أنها كانت مرتبطة بممارسات روحية تحيل إلى الطرق الصوفية، كذلك هو مثلا شأن "رقصة العداوي" التي هي رقصة منتشرة في منطقة الأوراس والتي كانت تقام على شرف أحد الأولياء، نفس الشيء يمكن أن يقال عن "رقصة القرقابو" المنتشرة في جنوب غرب البلاد والتي كانت في الأصل تؤدي في إطار طقوس صوفية شعبية، وهذا يعني أن الرقصات فقدت دلالتها الروحية الأصلية واستمرت فقط كتعبير فني، أي كفرجة أو كأداة للتسلية أو كوسيلة لحفظ الذاكرة الجماعية.

إن الكثير من الرقصات الفولكلورية في المجتمع الجزائري كانت في الأصل تعبيرا عن بعض أنماط الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة، فـ "رقصة التوارق" مثلا هي رقصة ذات طابع قتالي تحيل إلى حياة الحرب التي كان يعيشها المجتمع التارقي في السابق، ثم حولها تطور المجتمع إلى رقصة ذات طابع فولكلوري بحيث تسرد التاريخ وتحفظ الذاكرة الجمعية، والأمر نفسه يقال عن "رقصة العداوي" المرتبطة بحياة القتال التي كانت تميز فرق الخيالة المنتشرة في نواحي عديدة من غرب البلاد.

وإذا عدنا إلى الفنون اليدوية كالصناعات الفخارية والنحاسية لوجدناها في الأصل كانت تستخدم لأغراض الحياة اليومية، أما اليوم فإنها تستعمل لأغراض الزينة والتعبير عن الهوية الوطنية، أي أن الوظيفة التي تؤديها في الوقت الحالي غير الوظيفة التي أدتها سابقا، وهذا يدل على أن الموروث الثقافي دائم التطور، وهو يتجدد بتطور الفكر الإنساني.

ولا ريب أن الدين كمكون من مكونات الموروث الثقافي هو الأكثر حضورا وتأثيرا في المشهد الثقافي الوطني الراهن، بيد أنه اتخذ في الحاضر بدوره أشكالا اجتماعية غير تلك التي عرفها المجتمع الجزائري في الماضي، فإذا كان الطابع الطرقي هو السمة المركزية للممارسات الدينية في المجتمع الجزائري في فترة العهد التركي، فإن الأمر اختلف اليوم بعدما ساد مبدأ العودة للدين كنتيجة للحركة الحزبية والجمعيات.

من خلال ما سبق، يمكننا القول إن الموروث الثقافي الجزائري اصطبغ في الوقت الحاضر بصبغة حديثة، إذ شكلت الثقافة الجزائرية تركيبا من مكونات التراث وإنجازات الحاضر، وهذه الظاهرة تكشف عن الطابع الدينامي للثقافات، وتشكل ثقافة من مكونات ماضية وأخرى حديثة سمة عامة في كل الثقافات.

## 4 أهمية السياحة الثقافية:

للسياحة الثقافية أهمية اجتماعية وإنسانية وأيضاً اقتصادية حيث تعمل على:

- رفع مستوى معيشة المجتمعات والشعوب وتحسين نمط حياتهم.
- التعريف بالموروث الثقافي على المستوى الداخلي والدولي.
- نقل الموروث الثقافي للأجيال المتعاقبة والحفاظة عليه من الاندثار تحقيق استدامة الموروث الثقافي.

- تعمل على رفع المستوى المعيشي للسكان المحليين من خلال تطوير الصناعات التقليدية وخلق فرص عمل وبيع المنتجات المحلية للاجانب والسياح.
- خلق وإيجاد تسهيلات ترفيهية وثقافية لخدمات المواطنين إلى جانب الزائرين.
- تساعد على تطوير الأماكن والخدمات العامة بدول المقصد السياحي.
- تساعد على رفع مستوى الوعي بالتنمية السياحية بشكل عام والتنمية السياحية الثقافية بشكل خاص لدى فئات واسعة من المجتمع.
- تنمي لدى المواطنين شعور بالانتماء إلى الوطن وتزيد من فرص التبادل الثقافي والحضاري بين كل من المجتمع المضيف والزائر.
- توفير التمويل اللازم للحفاظ وصون التراث للمباني والمواقع الأثرية والتاريخية.
- تعمل على تنمية عملية التبادل الثقافات والخبرات والمعلومات بين السياح و المجتمع المضيف والذي يمكن أن نطلق عليه مصطلح الحوار بين الحضارات. [19]

#### ⑤ الموروث الثقافي الجزائري والآفاق المستقبلية:

يعتبر الموروث الثقافي كنز الأمة به تفرض وجودها وتثبيت ذاتها، وتحقق طموحاتها، وهذه الموروثات - مادية أو معنوية - لها حضور دائم في ذهن المجتمع لأنها إحدى الوسائل الهامة التي تعرف بطبيعة وبيئته، كما أنها تكشف عن خصوصيته كونها السجل الحقيقي لمختلف جوانبه الاجتماعية والفكرية والثقافية.

انطلاقاً من القيمة الجليلة المنوطة بالموروث الثقافي على اختلاف أشكاله فإن الدولة الجزائرية سعت للحفاظ عليه والتثبيت به، ومحاولة إحيائه، وبعثه من جديد، خاصة في ظل أخطار العولمة الجارفة التي باتت تهدد كيائها ووجودها، إضافة إلى محاولات بعض أعداء الوطن لمسح هويتها وتشتيت شملها، فانطلاقاً من هذا الوضع المربك دق ناقوس الخطر، فالتخذت الدولة الجزائرية احتياطاتها الممكنة بوضع أساليب وطرق مستقبلية مدروسة بإحكام في سبيل ترميم موروثها الثقافي والاستثمار فيه لخدمة المجتمع والأجيال القادمة، فخصصت ميزانية معتبرة لدعم كل المحاولات الجادة التي تسعى إلى المحافظة على الأشكال المختلفة للموروث الثقافي، كما رسمت ضمن برنامجها الثقافي ضرورة إقامة تظاهرات ثقافية في مناسبات معينة، بغرض إحياء تراث الأجداد وتذكير الأبناء بتاريخهم وهويتهم الثقافية حتى لا ينسوها وينغمسوا في ثقافة الآخر، كما سعت الدولة أيضاً إلى فتح ورشات عمل تهتم بالصناعات التقليدية والفخارية والنحاسية والجلدية وغيرها من الصناعات اليدوية.

لقد تمكنت الجزائر بفضل الجهود الجبارة التي بذلتها من بعث الروح في موروثها الثقافي الذي كاد أن يمحي في الفترات الحرجة من تاريخ الوطن، كما أن السياسة التي اتبعتها في ترميم هذا الموروث مكنتها من أن تستثمر فيه وتنمي اقتصادها المحلي والوطني حتى لو كان ذلك بنسبة ضئيلة، لكنها حتما ستحقق إنجازات طيبة لو استمرت في دعم هذا القطاع الحيوي على هذه الشاكلة.

#### ⑥ أهم الصعوبات التي تواجه تنمية السياحة الثقافية في الجزائر: [20]

- معاناة التراث الثقافي المادي من عوامل الاندثار والتعري بسبب العوامل الطبيعية أو بسبب الإنسان.
- كذلك التهديد التراث الثقافي غير المادي من الاندثار والتعريب بسبب تخلي المجتمع عن عاداته وتقاليده بفعل التطور وسائل الاعلام والاتصال.
- ضعف نظام الرقابة والمتابعة وقلة المرشدين السياحية.
- عدم التنسيق بين الجهات المختلفة ولاسيما بين وزارة الثقافة والسياحة.
- غياب علامات توجيهية وإرشادية في المناطق السياحية ولاسيما غيابها في الأماكن الأثرية والأحياء الشعبية.
- تردد القطاع الخاص وعزوفه عن الاستثمار في قطاع السياحة وعدم وجود تحفيز مادي ومعنوي له.



- تدهور البنى التحتية تؤثر على القطاع السياحي وكذا الثقافي.
  - عدم إدراك المجتمع المحلي بضرورة البحث عن بديل للمحروقات والاعتماد على القطاع السياحي في التنمية المحلية والمجتمعية، فالمجتمع الجزائري مزال يعيش في معتقد اقتصاد ريعي وما كانت له من تبعات اجتماعية واقتصادية تجعل من الفرد الجزائري أكثر اتكالية على الدولية في جميع أمور حياته وحتى بالنسبة لحماية الموروث الثقافي فالمسألة باعتقاده هم الدولة ولا تعنيه.
  - خوف المجتمع الجزائري من التغيير الذي قد يمس خصوصيته الثقافية.
  - تدني مستوى الأمن والنظافة في الكثير من المواقع الأثرية التاريخية.
- خاتمة:

يطمح هذا العمل إلى ضرورة النظر إلى السياحة كقطاع أفقي تتقاطع معه العديد من القطاعات الاجتماعية والثقافية لهذا نستطيع خلق صناعة سياحية ثقافية مستدامة إذا ما تم احياء الموروث الثقافي ووضعه كمنتوج سياحي يسمح بتنمية المجتمعات المحلية من جهة، ويقوم بالمحافظة والتعريف بهذا الموروث الثقافي على جميع المستويات الوطنية والدولية من جهة أخرى، لا يمكن اختزال السياحة الثقافية في عوائدها الاقتصادية وانما يجب النظر إليها على أنها هي الحافظة الأساسية لهذا المخزون التاريخي والثقافي ويبقى على العنصر البشري والمتمثل في الفرد الجزائري أن يجعل من هذا الموروث صور حية ناطقة تعبر عن مختلف الحضارات من خلال احتراف السياحة الثقافية.

➤ الهوامش:

- [1]: ابن منظور: لسان العرب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، 1994، ص227.
- [2]: محمد رياض وتارة: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص21.
- [3]: سعيد يقطين: الرواية والتراث السردى، من أجل وعي جديد بالتراث، ط1، دار رؤية، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص226.
- [4]: أحمد مرسى: مقدمة في الفلكلور، دار الثقافة، القاهرة، 1997، ص46.
- [5]: فاروق أحمد مصطفى: الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي، دراسة ميدانية، دار المعرفة الجامعية، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، 2008، ص229.
- [6]: فوزي العنتيل: الفلكلور ماهو؟ دراسة في التراث الشعبي، دار المعارف، مصر، ص23.
- [7]: الرمانى زيد: السياحة والبيئة علاقة توازن، صحيفة الجزيرة، الرياض، العدد 05 أكتوبر 2001.
- [8]: وفاء زكي إبراهيم: دور السياحة في التنمية الاجتماعية، دراسة تقويمية للقرى السياحية، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2006، ص10.
- [9]: إطار الإحصاءات الثقافية لليونسكو: معهد اليونسكو للإحصاء، كندا، 2009، ص09.
- [10]: أحمد فتال: بنية الثقافة الجزائرية وأسسها، عرض عام، مجلة الثقافة، عدد 19 أبريل 2009، وزارة الثقافة، الجزائر، ص111.
- [11]: أحمد أبو زيد: محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، ص47.
- [12]: فاروق أحمد مصطفى: الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي، ص21.
- [13]: عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية التاريخ والقضايا والتحليلات، دار أسامة، الجزائر، ص39.
- [14]: جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ط1، دار الملايين، بيروت، ص229.
- [15]: جبور عبد النور، مرجع سابق، ص39.
- [16]: فاروق أحمد مصطفى، المرجع نفسه، ص20.
- [17]: فاروق أحمد مصطفى، المرجع نفسه، ص21.
- [18]: منال عبد المنعم: الإتصال الثقافي، دراسة أنثروبولوجية في مصر والمغرب، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص99.
- [19]: أحمد محمود مقابلة: صناعة السياحة، دار كنوز المعرفة، عمان، 2007، ص-ص 74.75.
- [20]: مهدية هامل: أهمية الموروث الثقافي الجزائري في تحقيق التنمية السياحية الثقافية، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، العدد 25، المجلد الأول، ص310.